الفصل الخامس

المدح والذم

يأتي معنى المدحِ والذم في اللغةِ العربية إنشاءً لا إخبارًا التراكيب الآتية :

أ ـ نعم ، وبئس ، الأول للمدح ، والثاني للذم .

ب ـ ما كان من الأفعالِ على وزنِ (فَعُل) بضم العين ، ويستخدم بمعناه ـ إن مدحًا وإنْ ذما .

جـ ـ حَبَّذا للمدح ، ونفيه بالسلبِ (لا حبذا) للذم .

وهاك تفصيلًا لهذه الأساليب .

المدح والذمُّ بـ (نعم) و (بئس)

(نعم) و(بئس) كلمتان تستخدمان في التركيبِ لإنشاءِ المدحِ (نعم)، ولإنشاءِ الذمِّ (بئس) .

بنيةُ تركيبِهما :

يكونُ تركيبُ المدحِ أو الذمِّ باستخدامِ (نِعْم) و(بئس) متضمنًا العناصرَ اللفظيةَ الآتية :

ـ جملة المدح أو الذم ، وهي تتكونُ من :

(نِعْم) أو (بئس) يليهما مباشرةً اسمٌ مرفوعٌ معرفةٌ مظهرٌ ، أو مضمرٌ مميزٌ بنكرةٍ منصوبةٍ . وتكون هذه الجملةُ ـ غالبًا ـ في صدرِ أسلوبِ المدحِ أو الذم .

وهذا الاسمُ المرفوعُ يكونُ فاعلًا ـ على الأرجح ، وعند جمهور النحاة ـ ويكون دالًّا على الجنس ، فمدلولُه متضمنٌ عمومَ أفرادِ لفظِه ، ولذا فإنه اسمٌ أعمُّ ، ولا يجوزُ الفصلُ بينَه وبينَ الفعلِ بأي فاصلٍ ، سواءٌ كان نوعُه .

ـ المخصوص بالمدحِ أو الذم : اسمٌ يَلِي جملةَ المدحِ أو الذمِّ ، ولابدَّ أن يكونَ موجودًا باسلوبِ المدحِ أو الذمِّ ، وإن لم يَكُنْ فإنه يقدرُ من السياقِ ؛ لأنه من أجلِه أُنشئَ الأسلوبُ ليُمدحَ أو يُذَمَّ ، فهو الممدوحُ أو المذمومُ .

والمخصوصُ يجبُ أن يطابقَ فاعلَ (نعم) و (بئس) ، وهو الاسمُ المرفوعُ أو الضميرُ المقدرُ بعدَهما .

كما يجبُ أن يكونَ المخصوصُ أخصَّ في الدلالةِ من الفاعلِ ، فهما ـ وإن تطابقا ـ لا يكونُ مدلولهما واحدًا ، لأن الفاعلَ يدلُّ على الجنسِ ، أما المخصوصُ فيدل على ذاتِه أو مدلولِه الذاتي الكامنِ في لفظهِ فقط ، ولا يكونُ أعمَّ ولا مساويًا لمدلولِ الفاعلِ .

وهذا هو التركيبُ المثالي الذي يُعدُّ أساسًا للدراسةِ .

وما غيرَ ذلك من تركيبٍ دالٍ على المدحِ أو الذمِّ باستخدامِ نِعْمَ وبِئْس فإنه يدررسُ على أن فيه جانبًا من الخلافِ النمطي ن وهو جائزٌ استخدامُه لغويا .

وذلك مثل :

نعم الرجلُ الصدوقُ .

بئس رجلًا الخائنُ .

لكن المخصوصَ قد يتقدمُ ، نحو :

هذا المجيبُ نعمَ الطالبُ .

وقد يحذفُ المخصوص ، ويقدرُ من السياق .

نحو قوله ـ تعالى : ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل] .

أي : جهنمُ .

الجوانب البنيوية في (نعم وبئس) :

أولا : نوعهما البنيوي :

يذهبُ جماعةٌ من الكوفيين ـ وعلى رأسِهم الفراءُ ـ إلى أنهما ـ أسمان؛ مستدلين على ذلك بدخولِ حرفِ الجر عليهما في قول بعضهم : نعم السيرُ على بئس العَيْر ، وكذلك القولُ : والله ما هي بنعمَ الولد ، نصوّها بُكاء وبِرذْنها سَرِقة ، ولكنهم يخرجونها على حذفِ معنى القولِ الذي يصفُ موصوفًا محذوفًا ، وهما مفعولان ، والتقديرُ : نعم السير على عيرٍ مقولٍ فيه : بئس العير .

وما هي بولدٍ مقولٍ فيه : نعم الولد .

وذكر منه قولُ حَسان بنِ ثابت :

ألستَ بنعم الجار يؤلفُ بيتَه أخا قِلةٍ أو معدوم المالِ مصرما[1]

وقول الآخر :

صبَّحك اللهُ بخيرٍ باكرٍ بِنعمَ طيرٍ وشبابٍ فاخرِ[2]

والتقديرُ عند من يردُّون رأي الاسمية:ألست بجارٍ مقولٍ فيه،وبخيرٍ باكرٍ مقولٍ فيه...

أو : على الحكاية ، ونقل الكلمة عن اللفعليةِ إلى جعلها اسمًا للفظ [3].

ومن أوجهِ استلالِهم على اسميتِها أنها لا يتصرفان .

والتصرفُ من خصائصِ الأسماءِ . كما أنه لا يحسن اقترانُ الزمان بها كسائرِ الأفعالِ ، ولكنه يردُّ ذلك بأن وضعَها لإنشاءِ المدحِ والذم يكونُ للحالِ والحاضرِ ، فلا يحتاجان إلى تصرفٍ .

ويستشهدون على اسميتِها بدخولِ حرفِ النداءِ عليها .

فقد حكَوْا : يا نعم المولى ، نعم النصير ، ويردُّ على ذلك بأن فيه منادًى محذوفًا ، والتقديرُ : يا مَنْ هو نعم المولى ...

أما جمهورُ النحاةِ فيذهبون إلى أنها فعلان ، ويستدلون على ذلك بما يأتي :

ـ دخول تاءِ التانيثِ عليها . فيقال : نعمت المرأةُ هندُ ، بئست المرأةُ الكاذبةُ .

ـ إضْمار ضميرٍ فيها إذا قلت : نعم مواطنًا المؤدي حقَّ وطنِه .

ـ إسنادُهما إلى الضمائرِ المتصلة المرفوعة ، فقالوا : نِعْما رجلين ..

نعموا رجالًا ...

ـ بناؤهما على الفتح كالأفعالِ الماضية .

---

(1) شرح ابن يعيش ٧ـ ١٢٧ . وفيه رواية : ومعدما .

(2) شرح التسهيل ٣ـ ٥ / شرح ابن الناظم ٤٦٧ / الهمع ٢ـ ٨٤ / الصبان علي الأشموني ٣ـ ٢٧ .

(3) ينظر شرح ابن الناظم ٤٦٨ .

ـ دخول لام القسم عليهما ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل] .

ومنه قولُ زهير :

يمينًا لَنِعْمَ السيِّدان وجدتُما على كل حالس من سميلٍ ومُبرَمِ[1]

هـ ـ ورود (نعم) معطوفًا على الفعلِ الماضي في قولِه ـ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات] .

والمختار لدى جمهورِ النحاةِ أنهما :

ـ فعلان غيرُ متصرفين . أي : هما فعلان جامدان .

ثانيا : اللغات المسموعة فيهما :

فيهما لغاتٌ ، أشهرُها :

ـ نِعْم وبِئْس : بكسر فسكون .

ـ نَعِم ويَئِس : بفتح فكسر . مثل : عَلِم .

ـ نَعْم ويَأْس : بفتح وسكونٍ .

ـ نِعِم وبِئِس : بكسر فكسر .

واللغةُ الأولى أشهرُها وأكثرها انتشارًا ، وهي التي نأخذُ بها .

ثالثا : جواز إلحاقِ تاء التأنيثِ بهما :

إذا أسند إلى مؤنثٍ فإنه يجوزُ أن تلحقَ بهما تاءُ التأنيثِ ، تقول : نعمت المرأةُ الصادقةُ الأمينةُ .

بئست المرأةُ التي تتطلعُ إلى غيرِ واقعِها في حسدٍ وحقدٍ .

وإلحاقُ تاءِ التأنيثِ بهما إنما هو حكمٌ جوازٍ ، ذلك لأن فاعلَهما الظاهرَ اسمُ جنسٍ ، والجنس مذكرٌ ، فيجوزُ ألا تلحقَ التاءُ على معنى التذكيرِ ، وأن تلحقَها على لفظِ التأنيثِ .

---

(1) شرح التسهيل ٣ ـ ١٧ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٠ / المساعد ٢ ـ ١٣٤ / شرح الموصلي لألفية ابن معطي ٢ ـ ٩٦٧ .سميل : الخيط الذي لم يحكم فتله ، وهو كناية عن الأمر السهل ، مبرم : الخيط الذي أحكم فتله ، وهو كناية عن الأمر الشديد .

وقد جاءَ الفعلُ ملحقًا به علامةُ التأنيثِ في قولِ الشاعر :

نعمـــت جـــزاءُ المتقـــين الجنـــةَ دارُ الأمـــاني والـــمُنى والمنـــة[1]

وقولِ ذي الرمة :

أو حُـــرَّةٌ عيطَـــلٌ ثَبْجـــاءُ مُجْفِـــرةُ دعائمَ الزَّوْر نعمتْ زَوْرقُ البلـدِ[2]

فاعلُهما :

حينما يكونان فعلَيْن فلابد لهما من فاعل ، ويكون فاعلُهما واحدًا من :

١ ـ الاسم المحلى بالألفِ واللام :

فيقال: نعم الطالبُ المجتهد ، نعم المرءُ الصدوق ، وبئس الصديقُ الخائنُ .

واختلف في معنى (أل) هذه بين إفادتها العهدية ، أو الجنسية ، فمن قال بإفادتها العهدَ اختلف بين المعهودِ الذهني ، حيثُ إنها تدخلُ على مُبْهم ، والمعهودِ الخارجي وهو الفرد المعين المخصوص بالمدحِ أو الذم .

أما من قال بإفادتها الجنسيةَ فيرَوْن أن المتحدثَ يمدحُ الجنسَ كلَّه أولًا من أجلِ الممدوح ، ثم يخصُّ الممدوحَ بالذكرِ مرةً أخرى ، فبذلك يكون قد مدحَه مرتيْن . ويرى آخرون بان الجنسيةَ هنا مجازية ، فكأن المتحدثَ قد جعلَ الممدوحَ الجنسَ كلَّه للمبالغةِ .

ومن ذلك قولُه تعالى : ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال] .

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة] .

نعم الطالبُ محمدٌ المجتهدُ . وبئسَ الطالبُ المهملُ .

نعم الرجلُ الصدوقُ قولُه ، المأمونُ جانبُه .

بئس الصديقُ الخائنُ الغادرُ .

---

(1) شرح التسهيل ٣ ـ ٢٠ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٢ / المساعد ٢ ـ ١٣٧ / شرح الشذور ٢١ .

(2) التبصرة والتذكرة ١ ـ ٢٧٦ / شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٣٦ / شرح التسهيل ٣ ـ ٢٠ / المقرب ١ ـ ٦٨ .
الحرة : الكريمة،وأراد بها هنا الناقة. العيطل : الطويلة العنق. ثبجاء: الضخمة الصدر . المجفرة : الناقة العظيم وسطها . الدعامة : خشبة الخيمة ، والمقصود بها القوائم . الزوراء : أعلى الصدر .

نعم الصفةُ المانةُ . وبئست الصفةُ الخيانةُ .

٢ ـ الاسم المضافُ إلى ما فيه (أل) :

نحو : ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل] .

نعم ملجأُ الثُّوَّارِ القاهرةُ .

بئس صفةث الرجلِ النفاقُ .

نعم صفةُ المرأةِ الحياءُ . ومنه قولُ أبي طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ :

فنعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مكذَّبٍ زهيرٌ حسامٌ مفردٌ من حمائلِ[1]

تعقيبان :

أ ـ قد يضافُ فاعلُ (نعم وبئس) إلى نكرةٍ ، كما جاءَ في قولِ الشاعر :

فنعمَ صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم وصاحبُ الركبِ عثمانُ بنُ عفَّانا[2]

وهو قليلٌ جدًّا .

ب ـ قد يضافُ الفاعلُ إلى ضميرِ ما فيه أداةُ التعريفِ ، فيقالُ : القومُ نعم صاحبُهم أنت . ومنه قولُ الشاعرِ :

فنعم أخو الهيجَا ونِعْم شهابُها[3]

والأصح أنه لا يقاسُ عليه لقلتِه![4] .

٣ ـ المضمر المبهم المفسر بنكرةٍ ظاهرةٍ :

تكون تمييزًا له منصوبًا ، ويلزمُ الإفرادَ .

---

(1) شرح التسهيل ٣ ـ ٩ / المساعد ٢ ـ ١٢٥ / شرح التصريح ٢ ـ ٩٥ / الهمع ٢ ـ ٨٥ / الصبان علي الأشموني ٢ ـ ٢٨ .

(2) شرح المفصل ٧ ـ ١٣١ / المقرب ١ ـ ٦٦ / الصبان علي الأشموني ٣ ـ ٢٨ .

(3) ارتشاف الضرب ٣ ـ ٢٠ / الصبان علي الأشموني ٣ ـ ٢٨ . وفيه رواية : شبابها .

(4) الهمع ٢ ـ ٨٥ .

نحو : ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف] ، حيثُ يكونُ الفاعلُ ضميرًا مستترا تقديرُه : هو مقدرًا في (بئس) ، أما (بدلًا) فإنه منصوبٌ على التمييزِ ، وهو ما يذهبُ إليه الجمهورُ ، ونختارُه .

لكن بعضَ النحاةِ يذهبُ إلى أنه منصوبٌ على الحاليةِ ، وبعضُهم يرى أن الفاعلَ هو الظاهرُ المرفوعُ ، أي : الذي نجعلُه مخصوصًا بالمدحِ أو الذمِّ .

ومنه : نِعْمَ طالبًا المجتهدُ . نعمَ عملًا السعيُ في الخيرِ .

بئست صفةً الفتنةُ . بئس خلقًا .

الاستغلالُ والانتهازُ . ونعم خلقًا الاغتنامُ .

ومنه قولُ الشاعر :

نِعْـــم امـــرأً هَـــرِمٌ لَمْ تَغْـــرُ نَائِبَـــةٌ ... إِلَّا وكـــان لـــمُرْتاعٍ بهـــا وَزَرَا[1]

وقول الآخر :

نعـــم امـــرأَيْن جـــاتمٌ وكعـــبٌ ... كِلَاهمـا غيـثٌ وسـيفٌ عـضْبُ[2]

أي : نعم هو امرأين ...

وقول الراجز :

تقـــولُ عِـــرْس وهْـــى لي في عَـــوْمَرة ... بِئس امـرأ وإنني بِـئْسَ الـمَرَة[3]

أي : بئس هو امرأ .

تعقيب :

قد يظهرث الضميرث الفاعلث لنعم وبئس ، حيثُ يقالُ :

---

(1) شرح شذور الذهب ١٥١ / شرح التصريح ١ ـ ٣٩٢ / ٢ ـ ٩٥ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٣٢ / ضياء السالك ٣ ـ ٩٤ .

(2) الصبان علي الأشموني ٣ ـ ٣٢ / هامش ضياء السالك ٣ ـ ٩٣ .

(3) شرح التسهيل ٣ ت ١٣ / شرح ابن عقيل ٣ ـ ١٦٢ / الصبان علي الأشموني ٣ ـ ٣٢ . عومرة : صياح وجلبة . عِرْس الرجل : امرأته . المرة : المرأة .

مررتُ بقومٍ نِعموا قومًا. ونِعْم هُم قومًا أنتم. ونِعْمُوا قومًا أنتم. وهذا محكومٌ بشذوذِه [1].

٤ ـ (ما) التي تذكر بعد (نعم وبئس) :

تختلفُ بنيةُ التراكيبِ التي يذكرُ فيها (ما) بعد فعلَي المدح والذم ، من أشهرها :

أولا : أن يكون بعدها فعلٌ فاسمٌ ظاهرٌ أو مؤولٌ ، أو مقدرٌ ، أي :

نعم ، بئس + ما + جملة فعلية + اسمٌ .

ذلك نحو : نعم ما فعلْتَ الإحسانُ إلى جارِك .

بئس ما يتصفُ به الإهمالُ .

ومنه قولُه تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ [البقرة:٩٠] .

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء:٥٨] .

وهو التركيبُ الأكثرُ شيوعًا واستعمالًا في اللغةِ .

وهو الذي نعتمدُه في الإعرابِ العام .

وحينئذٍ نلمسُ في هذا التركيبِ الأوجهُ الآتية :

أ ـ أن تجعلَ (ما) اسمًا موصولًا ، والجملةُ الفعليةُ صلتُه ، وما بعدها من اسمٍ ظاهرٍ (الإحسان ، الإهمال) ، أو مؤولٍ (أن يكفروا) ، أو المقدر مما سبق ذكرُه قبلَ أسلوبِ المدحِ في الآية الأخيرة : (ما يأمركم به ..) ، يكونُ المخصوصَ ، فيعربُ مبتدأً خبرُه محذوف ، أو خبرًا لمبتدإٍ محذوفٍ ، أو مبتدأً مؤخرًا خبرُه جملةُ المدحِ أو الذمِّ .

ويكونُ التقدير : نعم الذي فعلته الإحسان .

بئس الذي يتصف به الإهمالُ .

بئس الذي اشتروا به ... أن يكفروا ..

نعن الذي يعظكم به ... ما يأمركم به من ..

---

(١) ينظر : شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٨ .

وهذا هو الرأيُ الكثرُ شيوعًا وقبولًا ورجحانًا .

ب ـ أو تجعلَ (ما) معرفةً تامةً فاعلًا . والمخصوصُ محذوفٌ تقديره : شيء ، والجملةُ الفعلية نعت له ن والمخصوص المقدرُ إما مبتدأ خبرُه محذوفٌ ، وإما خبرٌ لمبتدإٍ محذوف .

أو مبتدأ مؤخر خبره جملةث المدح أو الذم .

وما ذُكر من : الإحسان ، والإهمال والمصدر المؤول (أن يكفروا) ، وما يقدر في المثالِ الرابع يكونَ بدلًا من المخصوصِ المقدرِ ، أو عطفَ بيانٍ .

ويكون التقدير : نعم الشيءُ شيءٌ فعلته الإحسانُ ..

بئس الشيءُ شيءٌ يتصف به الإهمالُ .

بئس الشيءُ شيءٌ اشتروا به ... أن يكفروا ..

نعن الشيءُ شيءٌ يعظكم به .. ما يأمركم ...

جـ ـ حرفًا مصدريا لا محل له من الإعراب ، والحرف مع الجملةِ الفعليةِ التي تليه يكون مصدرًا مؤولًا فاعلًا في محل رفع ، والمخصوص الظاهر (الإحسان ، الإهمال) أو المؤول (أن يكفروا) ، أو المقدرُ (أمرُه) مبتدأ خبره محذوف ، أو خبر لمبتدإٍ محذوف ، أو مبتدأ مؤخر لجملةِ المدح أو الذم .

ويكونُ التقديرُ : نعم فعلُك الإحسان .

بئس صفتُه الإهمال ..

بئس استراؤهم ... كفرُهم ..

نعم وعظُكم به .. أمرته لكم بـ ...

د ـ نكرةً مميزة في محلِّ نصب ، أي ك منصوبةً على التمييزِ ، والجملةُ بعدها نعتٌ لها في محل نصب . والفاعل ضمير مستتر مميز بالنكرة (ما) .

وما بعدها من اسمٍ ظاهرٍ، أو مؤول، أو مقدرٍ هو المخصوصُ ، ويعربُ إعرابَه بأوجهِه الثلاثة .

ويكونُ التقدير : نعم شيئا فعلته الإحسانُ ..

بئس شيئا يتصف به الإهمالُ .

بئس شيئا اشتروا به ... كفرهم .

نعم شيئا يعظكم به .. أمرُه ...

وفيه أوجهٌ أخرى[1] .

ثانيا : أن يذكرَ بعد (ما) اسمٌ ظاهر :

نحو : ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة:٢٧١] .

أي : فنعم ما هي . ويُوجه هذا التركيبُ على النحوِ الآتي :

أ ـ أن تجعلَ التقريرَ : فنعم الشيءُ هي . فتكون (ما) معرفةً تامة فاعلَ (نعم) ، والضمير (هي) هو المخصوص ، وفيه الأوجهُ الإعرابيةُ الثلاثةُ .

ب ـ أن يكونَ التقريرُ : فنعم شيئًا هي . فتكونُ (ما) نكرةً تامةً تمييزًا للفاعلِ المستترِ لنعم . أي : نعم الشيءُ شيئا هي . والضمير (هي) يكونُ مخصوصًا باوجهِه الإعرابية .

جـ ـ أن تجعلَ التقدير : فنعم الذي هو هي إبداؤها . فتكون (ما) اسمًا موصولا فاعلَ (نعم) ، والضمير (هي) خبر لمبتدإ محذوف ، والجملة الاسمية صلة (ما) . أما المخصوصُ فهو محذوفٌ ، والتقديرُ : إبداؤها . وفيه أوجهٌ أخرى .

ثالثا : أن تذكرَ (ما) بعد الفعلِ دونَ ذكرِ لفظٍ بعدَها :

من ذلك القولُ : دققتُه دقًّا نِعِمَّا . أي : نِعْمَ ما .

فيكونُ التقديرُ :

ـ (إما) : نعم الشيءُ الدقُّ . فتكون (ما) معرفةً تامةً فاعلَ (نعم) ، ويكونُ المخصوصُ محذوفًا ، وقد قُدِّر بـ (الدق) .

ـ وإما : نعم شيئًا الدقُّ . فيكونُ (ما) نكرةً تمييزًا للفاعلِ المستترِ في محلِّ نصب . والمخصوصُ يكونُ محذوفًا يقدرُ بالدق .

---

(1) يرجع في ذلك إلى : كتاب النحو العربي ١٦٢ ـ ١٦٨ .

تعقيب :

أجاز المبردُ [1] والفارسي [2] إسنادَ فعلَي المدحِ والذم إلى الاسمِ الموصولِ (الذي) إذا قُصد به الجنسُ ، ويُصحِّحُه ابنُ مالك [3]، فتقول : نِعْمَ الذي قُمتَ به أداءُ الواجبِ . نعم الذي يأمرُ بالمعروف زيدٌ [4].

وكذلك يكونُ (مَنْ) الموصولة المقصودَ بها الجنسُ ، نحو قولِ الشاعر :

فنعم مزكأُ مَنْ ضاقَتْ مذاهبُه ونِعْمَ مَنْ هو في سرٍّ وإعلان [5]

فاعل (نعم) في الشطر الأول أضيفَ على الموصولِ (مَنْ) ، لكنه في الشرطِ الثاني كان (مَنْ) الموصولة ، وكلاهما دال على الجنس . في (من) فاعلُ (فِعْم) ، بدليل إضافة فاعلِه إلى (من) في الأول ، ولا يضاف الفاعلُ إلا لما يصح الإسنادُ إليه .

إعراب تركيب (نعم وبئس) :

الإعرابُ العام للتركيبِ الذي يكونُ فيه (نعم وبئس) ، يكونُ تبعًا للترتيبِ بين جملةِ المدحِ أو الذم والمخصوصِ ، ويكونُ ذلك في صورتيْن :

أولاهما : تقدمُ جملةِ المدحِ أو الذم على المخصوص :

نحو : نعم المواطنُ الذي يحبُّ وطنَه .

بئسَ صفةُ المواطنِ عدمُ التفكيرِ في الآخرِ .

نعمَ مواطنًا الذي ينظر إلى صالحِ المجموعِ .

بئسَ ما يقومُ به عدمُ مبالاتهِ بالسلبياتِ .

---

(1) المقتضب ٢ ـ ١٤٢ .

(2) الإيضاح العضدي ٤٥ .

(3) شرح التسهيل ٣ ـ ١١ .

(4) شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٩ .

(5) شرح التسهيل ٣ ـ ١١ / المساعد ٢ ـ ١٣١ / الكافية الشافية ٢ ـ ١١٠٩ / الهمع ٢ ـ ٨٦ / الصبان علي الأشموني ١ ـ ١٥٥ . مزكأ : ملجأ .

يوجَّهُ إعرابُ هذا التركيبِ على ما يأتي :

١ ـ تكونُ جملةُ المدحِ أو الذمِّ مقدمًا ، والمخصوصُ مبتدأً مؤخرًا . وهو ما يذهب إليه سيبويه ، ويراه ابنُ خروفٍ وابنُ الباذِش .

٢ ـ أما جمهورُ النحاةِ فإنهم يرون الاتجاة السابقَ ، مع جوازِ أن يكونَ المخصوصُ خبرًا لمبتدإٍ واجبِ الحذفِ .

والتقديرُ : نعم المواطنُ الممدوحُ الذي يحبُّ وطنه ، أو : هو الذي ...

٣ ـ ومنهم من يذهبُ إلى تعيينِ الرأيِ السابق : الثاني وحدَه .

وتكونُ جملةُ المدحِ أو الذمِّ ـ حينئذٍ ـ لا محلَّ لها من الإعرابِ .

٤ ـ يذهبُ بعضُهم ـ وعلى رأسِهم ابنُ عصفورٍ ـ إلى أن المخصوصَ مبتدأٌ حُذِف خبرُه، وتكونُ جملةُ المدحِ أو الذم لا محلَّ لها من الإعراب ز والتقدير : نعم المواطنُ الذي يحبُّ وطنَه الممدوحُ .

وهذه الآراءُ هي الأكثرُ شهرةً وشيوعًا ، وعليه فإن إعرابَ القولِ : (نعم الخلقُ الصدقُ) يكونُ كالآتي :

نعم : فعلٌ ماضٍ مبني الفتح .

المواطن : فاعل مرفوع ، وعلامةُ رفعِه الضمةُ .

والجملةُ الفعليةُ : إما لا محل لها من الإعراب ، وإما خبرق مقدمٌ في محل رفع .

الذي : اسمٌ موصولٌ مبني في محل رفع : إما : مبتدأ خبرُه محذوفٌ ، والتقدير : الممدوحُ ، وإما خبرٌ لمبتدإ محذوفٍ ، والتقدير : الذي ، أو هو الذي .

وإما مبتدأ مؤخر ، وخبرُه الجملةُ المقدمة .

٥ ـ من النحاةِ ـ ابن كيسان ـ من يذهبُ إلى أن المخصوصَ بدلٌ من فاعلِ (نعم وبئس).

٦ ـ ومن النحاةِ ـ ابن العلج ـ من يذهبُ إلى أن فعلَي المدحِ والذمِّ اسمٌ خبرُه ما بعدَهما. أما المخصوصُ فهو عطفُ بيانٍ أو بدلٌ من المرفوعِ بعدَهما .

والأخرى : المخصوصُ مذكورٌ بعد قبل جملتي المدح والذم :

نحو : الذي يحبُّ وطنه نعمَ المواطنُ .

فيكونُ المخصوصُ (الذي) مبتدأً ، خبرُه جملةُ المدحِ (نعم المواطن) .

ثانيا : حذف المخصوص :

قد يُحذفُ المخصوصُ في ثلاثةِ مواضعَ :

أولُها : إذا تقدم في الكلامِ ما يدلُّ على المخصوصِ ، فغنه يجوزُ حذفُه للعلمِ به ، من ذلك قولُه تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص] ، حيثُ يقدرُ المخصوصُ بعد جملةِ المدحِ بالضميرِ (هو) ، يعودُ على أيوبَ ـ عليه السلام ـ المذكورُ سابقًا في قولِه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ [ص:٤١] .

ومنه : ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل] ، أي : الجنة .

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد] ، أي : عقباهم .

ثانيها : أن يحذفَ المخصوصُ وتبقَى صفتُه دالةً عليه ، سواءٌ أكانت اسمًا ، نحو : بئس الصاحبُ عذولٌ خذولٌ ، أي : صاحبٌ عذولٌ ...

أم كانت جملةً فعليةً ، كقولِ الأخطل :

إلى خالـــدٍ حتـــى أنَخْـــنَ بخالـــدٍ فنِعْمَ الفتى يُرَجَّى ونعم الـمُؤَمَّلُ[1]

أي : نعم الفتى فتى يُرَجَّى .

وتقولُ : نعم الصديقُ ينصحُك ، أي : صديقٌ ينصحُك .

ثالثها : قد يحذفُ الموصوفُ وصفتُه ، ويبقى ما يتعلقُ بهما دليلًا عليهما ، ومنه قولُ الراجزِ :

بِئْس مقامـــث الـشيخِ أمـرِسْ أمـرِسِ إمـــا عـلى قَعْـوٍ وإمـــا اقْعَنْـسَسِ[2]

---

(1) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ ـ ١٣٦ .

(2) شرح التسهيل ٣ ـ ٢٠ / المساعد ٢ ـ ١٣٦ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩١ / الهمع ٢ ـ ٨٧ . أمرس : وهو إعادة ما يقع من جانبي بكرةِ مرس الحبل إلى مجراه . أقعنسس : تأخر ورجع إلى الخلف . القعو : البكرة أو شبهها .

أي : بئس مقامُ الشيخ مقامٌ مقولٌ فيه : أمرسْ أمرسِ .

تعقيبان :

أولا : هل يجوزُ الجمعُ بين فاعلِ (نعم وبئس) غيرِ الضميرِ والتمييزِ المنصوبِ ؟

يختلفُ النحاةُ في هذا الجوازِ على النحوِ الآتي :

أ ـ قومٌ لا يجيزون الجمعَ ـ وعلى رأسِهم سيبويه والسيرافي ـ حيثُ يرَوْن أن التمييزَ لرفعِ الإبهامِ عن مميَّزِه المبهم ، والإبهامُ يزولُ بظهورِ الفاعلِ ؛ لذا لا يجوزُ تمييزُ الفاعلِ المظهرِ .

ب ـ يذهبُ آخرون ـ على رأسِهم المبردُ والفارسي ـ إلى جوازِ ذلك ، فليس وجودُ التمييزِ لزوالِ الإبهامِ ـ في رأيهم ـ وإنما هو الإفادةِ التوكيدِ ، ويستدلُّون على ذلك بقولِ جريرٍ يهجو الأخطلَ :

والتغلبيُّـون بـئسَ الفحـلُ فحلُهـم ... فحـلًا وأمُّهُـم زَلَّاءُ مِنْطِيـقُ[1]

حيثُ (الفحلُ) فاعلُ (بئس) مرفوعٌ ، و (فحلُهم) المخصوصُ بالمدحِ مرفوعٌ ، يعربُ بأوجهه الإعرابية الثلاثةِ السابقة :

مبتدأ محذوف الخبر ، أو خبر لمبتدإ محذوف ، أو مبتدأ مؤخر خبرُه المقدمُ جملة الذم . أما (فحلا) فهو تمييزٌ للفاعلِ المظهرِ (الفحل) . وبعضُهم يجعلُه حالًا مؤكدة لا تمييزًا[2] .

وقولِ الشاعر :

نعـم الفتـاةُ فتـاةً هنـدُ لـو بـذلت ... ردَّ التحيـةِ نطقًـا أو بـإيماءِ[3]

حيثُ (فتاة) تمييزٌ منصوبٌ لفاعلِ (نعم) المظهرِ ، والمخصوصُ بالمدحِ (هندُ) .

---

(1) شرح التسهيل ٣ ـ ١٤ / شرح ابن الناظم ٤٧٠ / شرح ابن عقيل ٣ ـ ١٦٤ / المساعد ٢ ـ ١٣٠ / شرح التصريح ٢ ـ ٩٦ / الصبان علي الأشموني ٣ ـ ٣٤ . الزلاء : الخفيفة الإلية اللاصقة العجز ، المنطيق : المراد بها هنا المرأة التي تعظم عجيزتها بحشية .

(2) ينظر : المقرب ١ ـ ٦٨ .

(3) ارتشاف الضرب ٣ ـ ٢٢ / شرح التصريح ٢ ـ ٩٥ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٤٣٤ .

أما قولُ جرير في مدح عمرَ بنِ عبد العزيز :

تـــزوَّدْ مثـــلَ زادِ أبيـــك فينـــا فـــنعم الـــزادُ زادُ أبيـــكَ زادا[1]

ففيه (الزاد) فاعل (نعم) مرفوع ، و (زاد أبيك) هو المخصوصُ بالمدح ، أما (زادًا) فإنه يُخرجُ على أنه معمولٌ لتزوَّد[2]. وفيه أوجهٌ إعرابيةٌ ، أظهرُها :

ـ تمييزٌ للتأكيدِ بعد الفاعلِ المظهر .

ـ مفعولٌ به لتزوَّد . وتكون (مثل) منصوبةً على الحاليةِ من (زادا) ، والتقدير : تزود زادًا مثل .

ـ مصدرٌ مؤكدٌ من الفعلِ (تزود) ، وقد حذفت زوائدُه .

ـ تمييزٌ للمثلية (مثل) ، أي : مثلَ زاد أبيك زادًا ، والعاملُ فيه نعم .

ونحاةٌ آخرون فصَّلوا القولَ في هذه القضيةِ ، فإن أفادَ التمييزُ فائدةً زائدةً جاز الجمعُ بينه وبين فاعلِ (نعم وبئس) ، حيثُ يقالُ : نعم الرجلُ فارسًا محمودٌ . حيثُ أفاد التمييزُ المنصوبُ (فارسًا) معنى زائدًا عمَّا أفاده فاعلُ (نعم) وهو (الرجل) من معنًى .

ويجعلون من ذلك قولَ أبي بكرِ بنِ السود المعروفِ بابن شعوب :

تخـــيَّرَه فَلَـــمْ يَعْـــدِلْ ســـواه فـنِعْمَ المـرءُ مـن رَجُـلٍ تهـامى[3]

حيثُ أفاد التمييزُ المجرورُ : (من رجل) معنًى زائدًا عن معنى الفاعلِ (المرء) بصفته : (تهامى) .

ثانيا : قد يحذفُ التمييزُ والمخصوصُ معا :

كما في قولِه ﷺ : « مَنْ توضَّأ يَوْمَ الجمعةِ فَبِها ونِعْمَتْ »[4]. والتقديرُ : فبالسُّنةِ أخذ ، ونعمتِ السُّنةُ هذه الحالةُ ، أو : ونعمتْ سنةً هذه الحالةُ[5].

---

(1) المقتضب ٢ ـ ١٥٠ / المرتجل ١٦٩ / شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٣٢ / شرح التسهيل ٣ ـ ١٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٩ / المقرب ١ ـ ٦٩ / شرح ألفية ابن معطي ٢ ـ ٩٧٠ / شرح ابن عقيل ٢ ـ ١٣٢ .

(2) ينظر المقرب ١ ـ ٦٩ .

(3) شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٣٣ / المقرب ١ ـ ٦٩ / الهمع ٢ ـ ٨٦ / الصبان على الشموني ٣ ـ ٣٥ .

(4) سنن ابن ماجة ١ ـ ٣٤٧ / رياض الصالحين ٤٤٣ .

(5) ينظر : شرح التسهيل ٣ ـ ١٤ ، ١٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٨ / المساعد ٢ ـ ١٣٠ .

المدح والذم بـ (حبذا) و (لا حبذا)

يستعملُ في المدحِ العام التركيبُ (حبذا) ، ونفيُه بالسلبِ (لا حبذا) يُستخدمُ في الذمِّ العام .

يتكونُ هذا التركيبُ من :

حبذا (لا حبذا) ، فالمخصوص .

حبّ :

فعلٌ ماضٍ على مثالِ (فعُل) مضمومَ العين ، وهو (حبُبَ) بضم الباءِ الأولى ، ثم أُدغم المتماثلان ، وهو فعلٌ غيرُ متصرفٍ لخروجِه عن أصلِ معناه إلى أداءِ دلالةِ المدحِ .

ذا :

اسمُ إشارةٍ للمفردِ ، خُلع منه الإشارةُ التي تُفيد التعريفَ لغرضِ الإبهام ، فتقديرُ (حبذا) : حي الشيءُ . وهو يلزمُ الفعلَ (حبَّ) لإفادةِ المدحِ أو الذم إن سبق بحرفِ النفي (لا) . وهو في هذا التركيبِ ينوبث عن أسماءِ الأجناس ، وبهذا يجرى مجرى ما فيه الألفُ واللام الجنسية .

واسمُ الإشارةِ في المدحِ والذمِّ مع (حَبَّ) يلزمُ الإفرادَ والتذكيرَ ، لأن (حبذا) صارت مثلًا ، فتلزم الحالَ البنائيةَ التي وضعت عليها . إذِ الأمثالُ لا تتغيرُ بنيتَها .

لا :

حرفُ نفي يسبقُ (حبذا) لإفادةِ الذمِّ ، فهو نقيضُ المدحِ .

تقولُ في المدحِ : حَبَّذا المواطنُ الصالحُ .

حبذا المواطنةُ الصالحةُ .

حبذا المواطنان الصالحان .

حبذا المواطنتان الصالحتان .

حبذا المواطنون الصالحون .

حبذا المواطناتُ الصالحاتُ .

فيكونُ (المواطن) وما تفرعَ عنه في الجملِ السابقةِ مخصوصًا بالمدحِ ، وتلحظ لزومَ الإفرادِ والتذكيرِ في (ذا) .

وتقولُ في الذمِّ : لا حبَّذا المواطنُ الخائنُ .

لا حبذا المواطنةُ الخائنةُ ... إلخ .

ملحوظة :

قد يميزُ اسمُ الإشارةِ الفاعلُ بنكرةٍ منصوبةٍ ، مذكورةٍ قبلَ المخصوصِ ، أو بعدَه . فاسمُ الإشارةِ في هذا مثل الضمير المستترِ في (نعم وبئس) .

لكن هذه حالةُ جوازٍ مع (حبذا) .

تقولُ : حَبَّذا الوفاءُ صفةً .

حبذَا صفةً الوفاء .

فتنصبُ (صفةً) في الموضعيْن على أنها تمييزٌ لاسمِ الإشارةِ .

مع ملاحظة أن النحاةَ قد اختلفوا في إعرابِ مثلِ هذا المنصوبِ بين كونِه تمييزًا وحالًا ومفعولًا به ؛ لكن منهم من فَصَّل: فرأى أنه إذا كان جامدًا فإنه تمييزٌ ، وإذا كان مشتقا فإنه حالٌ . وهذا الرأيُ الأخيرُ الذي نأخذُ به .

مثال المنصوب بعد (حبذا) قولُ الشاعر :

ألا حَبَّـــذَا قومًـــا سُـــلَيْم فـــإنهم وفَوْا إِذْ تواصَوْا بالإعانةِ والنصر[1]

(قوما) تمييزٌ لاسمِ الإشارةِ الفاعل ، منصوبٌ ، وعلامةُ نصبه الفتحة .

وقولُ الآخر :

حبـــذَا القـــبرُ شـــيمةً لامـــرئٍ رامَ مبـــاراةَ مولَـــعٍ بالمعـــالِي[2]

قد يكونُ المنصوبُ بعدَ (حبذا) حالًا ، كما هو في قولِ الشاعرِ :

---

(1) شرح التسهيل ٣ـ٢٨ / شفاء العليل ٢ـ٥٩٦ / الهمع ٢ ـ ٨٩ .

(2) ينظر المواضع السابقة .

يـا حبـذا المـالُ مبـذولًا بـلا سَرَفٍ في أوجُـه الـبرِّ إسرارا وإعلانَـا [1]

حيثُ (مبذولا) حالٌ منصوبةٌ ، والعاملُ فيها (حب) .

ـ الأوجه الإعرابيةث المحتملةُ في تركيب (حبذا) :

يختلفُ النحاةُ فيما بينهم في إعرابِ تكريبِ (حبذا) ، وذلك على النحو الآتي :

١ ـ الإعرابُ الأكثرُ شيوعًا،والذي نأخُذُ به ، هو (حب) فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح.

(ذا) : اسمُ إشارةٍ مبني ، فاعل في محل رفع .

والجملةُ الفعلية لا محل لها من الإعرابِ ؛ لأنها ابتدائية ، أو : خبرٌ مقدمٌ في محل رفع .

المخصوص ، وليكن (الأمين) : خبرٌ لمبتدإ محذوف ، والتقديرُ : الممدوح ، أو : هو .

أو : مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ ، والتقدير : الأمين الممدوح .

ذلك لأن جملةَ المدح لا محل لها من الإعراب .

أو : مبتدأ مؤخر مرفوع ، وجملة المدح خبره المقدم ، كما ذكرنا .

مع ملاحظةِ أنه لا يجوزُ أن يتقدمَ المخصوصُ على جملةِ المدحِ أو الذمِّ في هذا التركيبِ لفظًا .

فإذا قلت : حبذا الأَمينُ مواطنا . كان (مواطنا) تمييزًا لاسمِ الإشارةِ ، منصوبًا ، وعلامةُ نصبِه الفتحةُ .

٢ ـ يرى بعضُ النحاةِ ـ وعلى رأسهم المبردُ وابنُ السراج وابنُ عصفور ـ أن الفعلَ (حب) عندما رُكِّب مع اسمِ الإشارةِ (ذا) غلبَت الاسميةُ على الفعليةِ فصارتا كلمةً واحدةً اسمًا .

وعليه فإن (حبذا) تكونُ اسمًا مبتدأً ، خبرُه المخصوص . والتقديرُ : المحبوب ، أو الممدوح الأمين .

٣ ـ يذهب بعضُ النحاةِ إلى نقيضِ الرأيِ السابقِ ، حيثُ يرى غلبةَ الفعليةِ على الاسميةِ ، فيجعلُ (حبذا) فعلًا ، والمخصوص فاعله ، وأصبحت (ذا) لغوًا .

٤ ـ يذهب قومٌ إلى أن المخصوصَ عطفت بيانٍ لاسمِ الإشارة الفاعل .

---

(١) شرح التسهيل ٣ ـ ٢٨ / المساعد ٢ ـ ١٤٤ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٧ .

ويرى آخرون أنه بدلٌ منه .

٥ ـ يذهب آخرون ـ وعلى رأسِهم الربعي ـ إلى أن (ذا) زائدةٌ ، و (حب) فعل ماض، والمخصوصُ فاعلُه ، فكأن (حبذا) مثلُ (ماذا) .

تعقيبات :

أولا : حذف المخصوص :

قد يحذفُ المخصوصُ بعد (حبذا) لقرينةٍ تدلُّ عليه ، ومنه قولُ عبد الله بن رواحة الأنصاري :

باسمِ اللهِ وبه بَدِينا ولو عبَدْنا غيرَه شقينَا

فحبذَا رَبًّا وحبذَا دينا[1]

أي : فحبذَا الإلهُ ربًّا ، وحبذَا دينُه دينا .

وقول الآخر :

أَلَا حبذَا لَوْلَا الحياءُ ورُبَّما منحْتُ الهَوَى من ليس بالمتقارِبِ[2]

أي : حبذا حالي معك ، إشارة إلى ما سبق هذا البيت .

ثانيا : إسقاط (ذا) من (حبذا) :

يمكن أن يتخلَّى (حبذا) عن (ذا) في تركيبيْن :

أ ـ أن يُسندَ (حب) إلى غير (ذا) ، فتفتحُ فاؤُه ، أو تُضمُّ ، ويكونُ فيه معنى المدحِ التعجُّبي ، فتقولُ : حُبَّ الوفاءُ صفةً ، وحَبَّ ..

ويجوزُ أن يُجَرَّ الفاعلُ بالباءِ في هذا التركيبِ ، كما ورد في قولِ الأخطلِ :

---

(1) شرح التسهيل ٣ ـ ٢٨ / شرح ابن الناظم ٤٧٧ / المساعد ٢ ـ ١٤٤ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٧ / شرح التصريح ٢ ـ ٩٩ / الهمع ٢ ـ ٨٩ .

(2) شرح التسهيل ٣ ـ ٢٨ / المساعد ٢ ـ ١٤٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٧ / الهمع ٢ ـ ٨٩ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٣١ .

فقُلْـــت اقْتُلُوهـــا عـــنكم بِمِزَاجِهـــا وحَـبَّ بهـا مقتولـةً حـين تقتـلُ [1]

بضم الحاءِ وفتحِها من (حب) .

ب ـ أن يسقط اسمُ الإشارةِ ، فيجبُ أن يلزمَ التفسير بالنكرةِ المنْصوبة . وتفتحُ الحاءُ من (حب) ، وتضمُّ ، فتقول حبَّ رجلًا محمدٌ .

ثالثا : دخول حرف النداء على (حبذا) :

يكثرُ دخولُ حرف النداءِ على (حبَّذا) دون استيحاش [2]، من ذلك قولُ جرير :

يـا حبَّـذَا جبـلُ الريَّـانِ مـن جَبَـلٍ وحبَّذَا سـاكنُ الريَّـانِ مَـنْ كانـا [3]

وقد يؤولُ على حذف المنادى ، والتقدير : يا قوم ...

أو أن (يا) للتنبيه .

رابعا : رتبة المخصوصِ (حبذا) :

لا يجوزُ أن يتقدمَ المخصوصُ في تركيبِ (حبذا) ، بخلافِ المخصوصِ بـ (نعم) و(بِئْس) .

المدح والذم بالفعلِ المضموم العين

كلُّ فعلٍ يصلحُ للتعجبِ من معناه يجوزُ أن يُستخدمَ استخدامَ (نعم) و (بئس) في إرادةِ معنى المدحِ والذمِّ ، بحسبِ معناه المعجمي .

ويشترط فيه أن يكونَ :

ثلاثيًا . متصرفًا، تامًّا، مثبتا ، قابلًا للتفاوتِ أو التفاضلِ ، ليس الوصفُ منه على مثالِ : أفعل مذكرًا ، وفعلاء مؤنثًا ، مبنيا للمعلوم .

---

(1) ينظر : الأصول ١ ـ ١٣٧ / التبصرة والتذكرة ١ ـ ٢٨١ / أسرار العربية ١٠٨ / شرح ابن يعيش ٧ـ ١٢٩ / شرح التسهيل ٣ـ ٢٩ / المساعد ٢ ـ ١٤٦ .

(2) ينظر : المقرب ١ ـ ٧٠ / شرح التسهيل ٣ ـ ٢٤ .

(3) شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٤٠ / المقرب ١ ـ ٧٠ / الهمع ٢ ـ ٨٨ .

فكلُّ فعلٍ تتوافرُ فيه هذه الشروطُ يصحُّ التعجبُ منه ، كما يصحُّ أن تُضَمَّ عينُه في الماضي ليُدَلَّ به على المدحِ أو الذمِّ .

ويكونُ ضمُّ العين :

إما من طريقِ الأصالةِ ، أي: ضمُّ العينِ في بنيتِه الأصليةِ ، نحو : كَرُم ، شَرُف ، حسُن ، جَمُل ، طَهُر ، ظَرُف ...

وإما من طريقِ التحويلِ : بضمِّ عينِ ما لم يكُنْ مضمومَ العينِ في الماضي ، نحو : علُم ، نَزُل ، كتُب ، شعُر .... فيصير المتعدي منها لازمًا ، ويكتسبُ هذا البناءُ معنى الغرائز .

أحكامُه أحكام تركيبِ (نعم وبئس) :

مثلُ هذه الأفعالِ تأخذُ أحكامَ (نِعْمَ وبئس) في التركيبِ ، حيثُ :

ـ إفادةُ معنى المدحِ والذمِّ ، تبعًا لمدلولِ الجذرِ المعجمي .

ـ حكم فاعل (نعم وبئس) : إن ظاهرًا ، وإن مضمرًا .

ـ أحكامُ التركيبِ بمجموعه ، من : الموقع الإعرابي ، واوجه رفعه ، وتقديمه وتأخيره، وجواز حذفه إذا تقدم ما يدلُّ عليه ، أو يشعُر به .

تقولُ : كرُمَ الرجلُ أحمدُ ، ويكونُ بمثابةِ القول : نعم الكريمُ أحمدُ .

ومنه : حَسُن الخلقُ حِلْم العلماء. عظُم الكرمُ تقوى الأتقياء ،قَبحُ العملُ عناءُ المبطلين، ومنه قولُه تعالى : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف:٥] .

يوجَّهُ نصب (كلمة) على وجهين :

أولهما : النصب على التمييز للضميرِ المبهم في (كبرت) ، تقديره : هو ، فاعل (كبر) ، عائد على مقالتهم سابقا : « اتخذ الله ولدا » ، أي : كبرُ مقالهم ، على معنى التعجب ، أي : ما أكبرها كلمةً .

والآخر : على التمييزِ للفاعلِ المضمر في كبر ، إلا أنه على معنى الذم . ويكون المخصوصُ محذوفًا تقديره : هي . والتقدير : بئس كلمةً هي .

ومنه : ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء] .

وقولُ الشاعر :

حَسُنَ فعلًا لقاءُ ذي الشَّرْوةِ المُمْـ ... ـلِقِ بالبِشرِ والعطاءِ الجزيلِ[1]

حيث (حسن) فعلٌ ماضٍ ، فاعله ضمير مستتر ، (فعلًا) تمييز منصوب . للضمير المستتر ، (لقاء) المخصوص بالمدح بأوجهه الإعرابية الثلاثة .

ومنه: ساء ، واصلُه: سَوَأ ، بفتح العين ، ضُمَّت الواو : سَوُأ ، وانفتح ما قبلَها ، فقلبت إلى ألفٍ . وهو فعلٌ جامدٌ دالٌّ على الذمِّ .

نحو : ساء الصديقُ الخائن ، وساءت المرأةُ الخائنةُ .

ساء رجلًا الصديقُ الخائِفُ . ساءت امرأةً السفيهةُ في تصرفِّها .

ومنه : ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ [الأعراف:١٧٧][2] .

وأنت تلحظُ استعمالَ (ساء) بأحكامِ (نعم) و(بئس) ، في كل جملةٍ فاعلٌ للفعلِ الجامدِ الدالِّ على الذمِّ (ساء) ، وهو على الترتيبِ : الصديق ، المرأة ، ضمير مستتر ، ضمير مستتر ، ضمير مستتر ، كما تلمسُ أن كلَّ فاعلِ ضميرٍ مستترٍ يكونُ مميزًا بنكرةٍ منصوبةٍ ، وهو على الترتيبِ : رجلًا ، امرأةً ، مثلًا ، وفي كلٍّ مخصوصٌ بالذمِّ يأخذُ الأوجهَ الإعرابية الثلاثةَ، والمخصوصُ على الترتيب : الخائن ، الخائنة ، الصديق الخائن، السفيهة ، القوم .

ومنه قولُه تعالى : ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف] .

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام] .

تنبيه في استخدام (ساء) :

قد يؤولُ تركيبُ (ساء) إلى معنى الذمِّ على تركيبِ (بئس) ، أو إلى معنى التعجب ، أو الى فعلٍ متصرفٍ في معناه المعجمي .

---

(1) شرح التسهيل ٣ـ٢٨ / شفاء العليل ٢ـ٥٩٧ / الهمع ٢ـ٨٩ .

(2) لأن المخصوص يجبُ أن يكونَ من جنس الفاعل والتمييز ، أو يجب أن يصدقَ كل منهما على الآخر ، وهذا غير متوافرٍ في هذا الموضع ، فإنه يقدرث محذوفق ليتلاءمَ المعنى بعضُه مع بعضِه ، حيثُ يقدرُ : ساء أهل مثلِ القوم القومُ الذين .... ، للمصادقةِ مع المخصوصِ ، أو : ساء مثلًا مثلُ القوم الذين .. للمصادقةِ مع التمييز .

في قولِه تعالى : ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام] .

وقولِه تعالى : ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة] .

يجوزُ فى (ساء) ثلاثةُ أوجه[1] :

أ ـ أن يكونَ تعجبًا، كأنه قيل:ما أسوأ حكمَهم،أو : عملَهم . وفيه (ساء) فعلٌ جامدٌ.

ب ـ أن يكونَ بمعنى (بئس) ، فيكون فعلًا جامدًا . والتمييز محذوف ، والتقدير : ساء حكما ما يحكمون . وساء عملًا الذي كانوا يعملونه .

جـ ـ أن يكونَ (ساء) فعلًا منصرفًا ، ويكونُ الفاعلُ المصدرَ المؤولَ ، والتقدير : ساء حكمهم المؤمنين . وساء عملهم المؤمنون .

ملحوظة :

قد يُجرُّ الفاعلُ بالباءِ الزائدةِ ، فيكون دالًّا على المدحِ أو الذم مع التعجبِ ، « حكى الكسائي عن العرب : مررتُ بأبياتٍ جُدْنَ أبياتا ، وجاد بِهِنَّ أبياتًا »[2] ، حيثُ جاء فاعلُ (جاد) مرةً ضميرًا بارزا ، واخرى مسبوقًا بالباءِ الزائدة .

ويكثر مجيء الفاعلِ في هذه الدلالةِ (التعجب) مسبوقا بالباءِ الزائدة .

قال الطرِمَّاح :

حَبَّ بِالزَّوْرِ الذي لا يُرَى ... منه إلا صفةٌ أو لِمَامْ[3]

وفيه فاعلُ (حب) مسبوقٌ بالباءِ الزائدة (بالزور) .

وقالَ الأخطل يمدح خالد بن عبد الله بن أبي العيص :

فقلتُ اقْتلوها عنكم بِمزاجها ... وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقْتَلُ[4]

---

(1) ينظر : الدرر المصون ٢ ـ ٥٦٩ .

(2) ارتشاف الضرب ٣ ـ ٢٨ / أوضح المسالك ٢ ـ ٢٨٩ .

(3) شرح التصريح ٢ ـ ٩٩ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٣٩ .

(4) الأصول في النحو ١ ـ ١٣٧ / التبصرة والتذكرة ١ ـ ١٨١ / شرح ابن يعيش ٤ ـ ١٢٢ .

يروى بضم حاء (حب) وفتحها ، وكلاهما للمدحِ والتعجب ، وفاعلُه ضميرُ الغائبة المسبوق بالباء الزائدة ، (مقتولة) حالق منصوبةٌ .

ويقال : إن هذه الباءَ زائدةٌ على غيرِ قياس ، أو للتعجبِ .

obeikan.com